التّراث الدّيني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية

الدكتور محمّد خاقاني اصفهاني*

مريم جلائي**

الملخّص

إن الحضور البارز للتّراث بأشكاله المختلفة يُعتَبر من السّمات البارزة للقصيدة العربية الحديثة، إلا أنه اكتسب نكهة خاصة في القصائد التي تلتزم بقضية القدس. ولسنا نبالغ إذا قلنا إن التّراث الديني –من بين أنواع التّراث– مهيمن على القصيدة الفلسطينية لمكانة القدس الدينيّة في وجدان الشاعر العربي والفلسطيني بخاصة. وفي ديوان الشاعر الفلسطيني المسلم سميح القاسم –باعتباره من أبرز أدباء المقاومة– رصيد ديني متعدّد توفّر فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، شأن الإبداعات الأدبية عند أقرانه من كبار الأدباء الفلسطينيين.

فتوقّف البحث عند الدلالات الدينيّة في شعر سميح القاسم بالمنهج الوصفي–التحليلي، وتناول قدرة الشاعر ومدى نجاحه في التّفاعل مع التّراث الدّيني، ووصل إلى أن لاستخدام الشاعر التراثَ الديني أبعاد سياسية ونفسية، وأنه يعتبر من أبرز الأسس الفنية في شعره، كما نمّ عن براعته الشعرية مؤكداً على التأثير الإيجابي لتوظيف التّراث في خدمة النص الأدبي وإخصابه.

كلمات مفتاحية: الأدب العربي الحديث، الشعر الفلسطيني، سميح القاسم، التّراث الدّيني.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

---

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أصفهان.

** طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة أصفهان.

تاريخ الوصول: ٨٩/١٠/٢٢ تاريخ القبول: ٨٩/١١/٢٠

المقدّمة

إن التأثّر سمة إنسانية مشتركة بين الشعوب لا تعني النقل عن الآخر ومحاكاته، وإنما تعني سعة المعرفة والاطّلاع، فالإبداع والأصالة. ومن تجلّيات التأثر والآليات الفنيّة التي تُعتبر من مظاهر الأصالة في الإبداعات الأدبية هو تواجد التّراث فيها بأنواعه المختلفة، أهمّها التّراث الديني، والتّراث التاريخي، والتّراث الأسطوري، والتّراث الشعبى الفلكلوري.

بعبارة أوضح، إنّ الإنتاج الأدبي الأصيل مكان تجتمع فيه بؤر ثقافية متعددة ولا مناص للأديب منه؛ لأن الكاتب في أصله قارئ يختزن في ذاكرته ما تعلّمه من الثقافات المختلفة فتتشكّل لديه خلفيةٌ ثقافيةٌ يوظّفها أينما سنحت فرصة للتعبير عما يريد نقله إلى القارئ.

وإن التّراث جزءٌ لا يتجزأ من الأدب الفلسطيني المعاصر حتى تحوّل استخدامه إلى سمة من سماته الأسلوبية. ومن المعروف أن العناية بالتّراث قد شقّت طريقها إلى مجال النقد الأدبي الحديث في القرن التاسع عشر، عندما ظهرت فكرة القومية والبحث عنها عند الشعراء الرومانيسيين. فقام عددٌ من الباحثين بدراسة "التّراث" في أعمال أدباء الأرض المحتلة من أهمها مقالة عنوانها «الدّلالة الدينية في الشعر الفلسطيني» (٢٠٠٧) لـــ«سرجون كرم» و مقالة «التّناص القرآني في شعر محمود درويش»(١٣٨٤هــ.ش) للباحثة «رقيه رستم پور»، ورسالة ماجستير عنوانها «توظيف التّراث في شعر سميح القاسم» قامت بإعدادها «لولوة العبد الله» (٢٠٠٧) نوقشت بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

والدراسة هذه تسعى إلى تسليط الضوء على التّراث الدّيني عند سميح القاسم، وتمّ اختيارها لأسبابٍ منها تجسُّد التّراث الديني في أدب المقاومة الفلسطينية بصورة منقطعة النظير ومكانة الشاعر الهامة في خريطة الشعر العربي.

يهدف البحث إلى بيان عمق تفاعُل الشاعر مع تراثه الديني مفترضاً أن الشاعر تفاعَل مع التّراث الديني تفاعلاً حيوياً ووظّفه توظيفاً ناجحاً حتى انصهر في سيـــاقه الشعري ما يدلّ على ذكاء الشاعر في ربطه الواقع الحاضر بالقديم.

حياة سميح القاسم وميزاته الأدبية

يُعتبر سميح القاسم مِن أبرز شعراء المقاومة الفلسطينية، وهو من مواليد عام ١٩٣٩م. نشأ في عائلة محبة للعلم والثّقافة بمدينة الزرقاء الأردنية. وبعد أن تلقّى تعليمه في مدارس الرّامة والنّاصرة، دخل ساحة الحزب الشيوعي الإسرائيلي ولكنّه تركه بعد فترة وتفرّغ لعمله الأدبي. و «ما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية حازت على شهرةٍ واسعةٍ في العالم العربي. كتب سميح أيضاً عدداً من الرّوايات، ومِن بين اهتماماته الحالية إنشاء مسرح فلسطيني يحمل رسالة فنيّة وثقافيّة عالية كما يحمل في الوقت نفسه رسالةً سياسيةً قادرةً على التأثير في الرأي العالم العالمي فيما يتعلّق بالقضية الفلسطينية.»[١]

أما بالنسبة إلى خصائصه الشعرية فمن البديهي أن سميحاً باعتباره شاعراً مناضلاً انصبَّ اهتمامه الأول على مأساة فلسطين المحتلّة فإذا بشعره يضجّ بروح المقاومة والكفاح والإيمان بالوطن والتّفاني في سبيله شأن سائر الأدباء الفلسطينيين المعاصرين. ومن ميزاته الشعرية استلهام التّراث على مدى واسع وهو ما نحن هنا بصدده.

التّراث وتوظيفه في الأدب الفلسطيني المعاصر

لا ينكر أحدٌ أن التّراث قيمةٌ مِن قيم الشعوب الروحيّة يلزم عليها أن تبذل ما في جهدها للحفاظ على مرتكزاته وملامحه كلما سنحت فرصة، وهو انتقال التقاليد،

---

١ – الجيّوسي، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ص٣٧٨.

والعادات، والخبرات، والفنون، والمعارف من زمنٍ إلى زمنٍ، ومن مجتمع إلى مجتمع سواء كان هذا التّراث مادياً أم معنوياً.

على هذا، للتّراث جذورٌ راسخةٌ في نفوس الشعوب، والأدباء بخاصة، من حيث نضجه لتجاوزه الزماني والمكاني، فيحاولون نقله من جيل إلى آخر. إذن «فالروافد التّراثية لقيت اهتماماً كبيراً من الدارسين المحدثين في الغرب والشرق على السواء، باعتبار أن النص الذي لا يقبل هذه الظواهر هو نصٌ عقيمٌ.»[١]

لذا نجد الأديب –في أي عصر كان– التجأ إلى التّراث كمجال لإبداعاته الشعرية ووسيلةٍ لتوليد دلالات جديدة، إلى أن نرى الشاعر أدونيس على سبيل المثال رغم محاولاته للتنصّل من أشكال التّراث، إلا أنّه لا يجد مناصاً من استعمال الرموز التّراثية كمجال لإبداعه الشعري.[٢] وليس محاولتُه الفاشلة غريبةً «لأنّه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن تاريخه الشخصي، أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نصٍ هو معرفة صاحبه للعالم.»[٣]

غير أن اللافت للنظر في تجارب الأدباء المحدثين هو توظيفهم لتقنية التّراث بأشكاله المتعددة على نطاق واسع جداً إلى أن أصبح من السّمات البارزة للقصيدة العربية الحديثة منذ بدء النهضة. وربما يرجع سببُ ذلك إلى ضرورات ومؤثّرات خاصّة واجهها الشاعر العربي في العصر الراهن وإلى عدة عوامل أخرى تنوّعت «بين ثقافيةٍ ترى أهمية توسيع أفق الشاعر ومداركه، ونفسيةٍ تُعين الشاعر على التّخفيف من كآبته ومعاناته، وفنيةٍ تُوفّر له أدوات جديدة مرنة، وقوميةٍ تُعيد له الثّقة برصيده القومي مقابل ثقافة المستعمر والوافد، وسياسيةٍ أجبرت الشاعر على اتّخاذ وسيط بينه وبين القارئ»[٤]. والشاعر الفلسطيني كغيره من الشعراء المعاصرين

١– عبداللطيف، تقنية توظيف التّراث الديني في شعر مفدي زكريا، ص٢.

٢– المصدر نفسه، ص١.

٣– تاوريريت، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، ص٦٢.

٤– قائد، «توظيف التّراث في الشعر اليمني المعاصر في الحقبة ١٩٩٠–١٩٩٢م»، ص٢.

خضع لهذه العوامل فضلاً عن حاجته الملحّة لتناول الصراع الذي أنشب نيابَه في جسد وطنه الحبيب الذي تحوّل إلى أهم قضيّةٍ سياسيةٍ في الوطن العربي والإسلامي الكبير رغم هيمنة (رقابة) العدو الصهيوني على إنتاجه الأدبي والفكري. وبعبارة أخرى، «نزع شعر المقاومة إلى الرمز واستخدام الأسطورة بسبب الهجمة الاقتصادية والسياسية التي شنّتها السلطات الإسرائيلية على الشعراء والمثقّفين».[١]

على ضوء هذه الظروف القاسية التي وُرِّط فيها الشاعر الفسطيني، تزايد حضور التّراث في شعره حتى أنه شكّل ميزةً بارزةً من ميزات أدب الشعراء الفلسطينيين، ومنهم الشاعر الفلسطيني الشهير سميح القاسم.

التّراث الديني

ارتبط الدين بالوجدان الإنساني ارتباطاً وثيقاً عبر العصور والأجيال ولا يخفى ما للدين من أهمية في حياة الناس، لما له علاقة بعواطفهم؛ إذ ليس هناك عاطفة أقوى من عاطفة الدين. من هذا المنطلق، يوظّف الأديب تراثه الديني ضمن إنتاجه الأدبي واعياً أو غير واعٍ، مباشرةً أو غير مباشرة مثيراً في القُرّاء مشاعرهم الدينية بغية تلقّي استجابة أكثر من قبلهم. إلا أنّه كثر توظيف الرموز الدينية في الشعر المتصل بفلسطين المحتلة والقدس بخاصة، لأسباب، منها:

١- «لمكانة القدس الدينية والحضارية اتّجهت أفئدة الشعراء إليها، فجاء إنتاجهم غزيراً. من هنا لجأ الشعراء إلى الدّين كمصدر هام وأساسي في الشعر العربي المعاصر الذي كتب عن القدس. فما يكاد يخلو نص من نصوص هذا البحث من بُعد ديني، طالما تتناول هذه النصوص مدينة مقدسة لدى كل الديانات السماوية

١- كنفاني، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، ص٣١.

الثلاث»[١]. والأديب الفلسطيني يخاطب معتنقي الديانات الثلاث لأنه يعتبر وطنه المحتل مهد الأديان السماوية، على سبيل المثال يقول سميح القاسم:

نحْنُ مِنْ أرْضٍ –يُقال

إنَّها مَهْدُ النّبواتِ – يُقال

بَسَطَتْ نُوراً وَعِرْفاناً على الدُّنْيا [٢]وفي مكان آخر يقول:

أرْضُنا

مِنْ عَسَلٍ ــ يُحْكى ــ بها الأنْهارُ ــ يُحْكى

مِنْ حَليبٍ

أنجَبَتْ ــ يُحْكى ــ كبارَ الأنْبياءِ [٣]

أويقول نزار قباني في قصيدته «القدس»:

يا قُدْسُ يا مَدينَةٌ تفوحُ أنبياء

عَلَيك يا لُؤْلُؤَةَ الأدْيانِ... [٤]

٢– أنّه «لما كان تشويه الثقافة الإسلامية والعربية وإشاعة الجهل بين الناس من الأهداف الرئيسية للكيان الصهيوني فكان طبيعياً أن يردّ الشعراء الفلسطينيون إلى موروثهم الديني باعتباره من مقوّمات شخصيتهم في مواجهة الكيان الصهيوني الذي يحاول أن يستند في وجوده إلى مبرّرات دينية، وكأن استلهام شعراء فلسطين التّراث الديني ليس إلا تحدياً للكيان الصهيوني وادّعائه أحقيته بالوطن استناداً إلى افتراءات دينية[٥]». فيوظّف الرموز الدينية هادفاً الحفاظ على هويته الوطنية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١– المصدر نفسه.

٢– القاسم، ديوانه، ص٦١٢.

٣– المصدر نفسه، ص٦٤.

٤– قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص١٦١.

٥– رستم پور، «التّناص القرآني في شعر محمود درويش»، الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ص١٩.

٣- يهدف الشاعر الفلسطيني من استخدام الرموز الدينية إثبات أصالته وأصالة شعبه رغم احتلال أرضه المقدسة من قبل العدو الصهيوني.

بناءاً على ما مرَّ، نجد في ديوان الشاعر الفلسطيني المسلم سميح القاسم كثرة هائلة من هجرة الرموز الدينية (النص الغائب) إلى النّص الحاضر حتى أصبح التّراث الديني جزءاً لا يتجزأ من شعره، نأتي هنا بشذراتٍ منه وردت في ديوانه، نقسّمها إلى التّراث الإسلامي، والتّراث المسيحي، والتّراث اليهودي.

أ- التّراث الإسلامي

السواد الأعظم من شعراء فلسطين من معتنقي الإسلام المبين، والشاعر الكبير سميح القاسم منهم، ونظراً إلى انتمائه الدّيني نجد التّراث الإسلامي يحتلّ حيّزاً كبيراً في أشعاره.

أما بالنسبة إلى مكانة القدس في نفوس المسلمين فهي مسرى النبي محمّد (ص) نُزّل فيه قوله تعالى:

﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذي بارَكنا حَوْلَه﴾[١] وهي قبلة المسلمين الأولى فصلّوا تجاهها مدة ستة عشر شهراً تقريباً وفُتحت هذه المدينة في عهد عمر بن الخطاب، إذن فيها أماكن مقدسة كثيرة للمسلمين أهمها المسجد الأقصى، و قُبَّة الصّخرة، و مسجد عُمر، و بعض قبور الصحابة، إضافة عن ذلك يعتبرها المسلمون مهد الأديان كلها ومهبط كثير من الرسل والصّالحين فتقع في موضع تبجيل واحترام وفي هالة من القداسة عندهم. فاحتلالها وتدنيس مقدّساتها محنة أثارت مشاعر الأدباء في أرجاء العالم الإسلامي والأدباء الفلسطينيين بخاصة.

١- الإسراء/١.

والتّراث الإسلامي في ديوان سميح القاسم فينقسم إلى استلهام الشخصيات القرآنية، التّناص القرآني، والشخصيات التاريخية الإسلامية.

أولاً: تجليّات التّناص القرآني في شعر سميح القاسم

عرف شعراء فلسطين أن تهشيم معالم الثقافة الإسلامية التى تتمحورُ على مضامين القرآن السّامية من أهداف الكيان الصهيوني الرئيسية إلى جانب هجماته العسكرية الشرسة فأدركوا أن أنجع الطرق لمواجهة العدو الصهيوني هو توظيف استراتيجية التّناص القرآني في إبداعاتهم الشعرية. لأن «التّناص[١] تقنية من تقنيات الكتابة التي يلجأ إليها المؤلف، إما لإكمال نقص أو عجز فكري أو لغوي، وإما بهدف مقصود هو نقل القارئ من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر بغية زيادة لهفته وتعطّشه لاستقاء المعنى الذي يتزايد ويتعدد بفعل ذلك الانتقال[٢]». يتّضح مما مرّ أن شعراء فلسطين يوظّفون التّناص القرآني هادفين إثراء إنتاجاتهم الأدبية شكلاً ومضموناً، ففيما يلي نبسط القول على التّناص مع الشخصيات القرآنية في شعر سميح القاسم بإتيان نماذج منها وما يوافقها من آيات القرآن الكريم.

١) الشخصيّات القرآنيّة

من خلال قراءاتنا لديوان سميح القاسم وجدنا عدداً غفيراً من استدعائه للشخصيّات القرآنيّة وفيما يلي نماذج منها:

- **هابيل وقابيل:** «تعتبر حادثة قتل "قابيل" أخاه "هابيل" رمز الخطيئة التي مارسها الإنسان ضد أخيه، ورمز الشرّ الذي لايزال يعاني منه الإنسان إذ قام

پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١- «إذا ما بحثنا عن أصول التّناص في الثقافة الغربية فإننا نقرّ بأن النقاد والباحثين قد أجمعوا على إرجاع هذا المصطلح إلى الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا، وذلك من خلال بحوثها التي كتبتها سنة ١٩٦٦-١٩٦٧» (تاوريريت، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، ٦٧ص)

٢- المصدر نفسه، ص٦٠.

الشعراء المعاصرون بتصوير هذه الحادثة التي تدلّ على شناعة قتل الصهانية الشعب الفلسطيني الأبرياء[١]».

على هذا، يستخدم سميح لفظة "قايين" –اسم قابيل في العهد القديم– رمزاً للعدو المحتل الذي يتّسم بالضراوة والأنانية، والذي يقتل الشعب الفلسطيني إشباعاً لشهوته للقتل.

دُوري مَعَ الأَعْصارِ! يا قُطْعانُ! ضَيَّعَكَ الرُّعاةُ
وَابْكي رَبيعاً ماتَ... ماتَ
مِن يَومٍ شاءَ اللهُ أن تَهوي يَدَا قايينَ
قاتِلَتَيْنِ، عائِصَتَيْنِ في الدَّمِ، في الحياةِ...
قايينُ! يا قايينُ! أينَ مَضَتْ بهابيلَ خَطاه؟!
إذهَبْ! يُرافِقْكَ الشَّقاءُ... جَزاءُ فِعلَتِكَ الحَرامِ! [٢]

• **نوح (ع)**: استدعى الشعراء النبي نوح (ع) بصور ودلالات متعددة. فوظّفوا هذه الشخصية إما من خلال رمز الحمّامة البشّارة التي جاءت إلى نوح بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن الطوفان قد انتهى فاستوى بسفينته على الجودي، أو عبر بيان رحيل نوح وابتعاده عن الوطن.

إن سميحاً في قصيدة "ليلى العدنية" التي هي من أروع قصائده وأطولها، يرسم للقارئ معركةً تقع بين العرب وبريطانيا في صورة تمثيل صامت. يرمز الشاعر للأمة العربية بعدن، وليلى فتاة عدنية شهية يحاول العدو سبيَها فيمضي أبوها ليدفع عنها الذئاب الأجنبية، فيستشهد غيراناً لها إلا أنها تحرّض أبناء عَمّها لمواصلة النضال والصمود أمام العدو. في بداية القصيدة يؤمن الشاعر بحتمية الانتصار

١ – رستم پور، «التّناص القرآني في شعر محمود درويش»، الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ٢٥ص.

٢– القاسم، ديوانه، ص٣١٢.

لصالح العرب، ففي وصفه صدرَ ليلى يعتبره بشّارةً لنوح بانتهاء الطوفان، فيطلب من الحمامة البشارة عودتها.

صَدرُها نَجدُ السَّلامَه / يَحْمِلُ البُشْرى إلى نوحٍ / فَعُودي ياحَمّامه[١]

• **إبراهيم (ع):** وهو خليل الرّحمن يرمز في شعر سميح للمواطن الفلسطيني الذي عليه أن يقوم بتحطيم أصنام العصر بحجارته ومقلاعه أو بكلامه بدلاً من الفأس. ومن الواضح أنه يقصد بالأصنام العدو الصهيوني إذ يقول:

لَن تَسْكُتَ هذي الأشعارُ
لَن تَخْمُدَ هذي النّارُ...
فَسَأَحمِلُ فَأْسي
سَأشُجُّ حماقاتِ الأوثانِ[٢]

• **يعقوب (ع):** من الشخصيّات التي تناولها الشاعر في قضية وطنه المحتل شخصية النبي يعقوب (ع). وهو رمز لمعاناة المتشردين المعذبين بفراق وطنهم الحبيب، كما عانى النبي بفراق ابنه الحبيب يوسف (ع):

مِنْ هذا الصَّخْرِ... مِن الصَّلْصالِ
مِن هذي الأرْضِ المَنْكوبَةِ
يا طِفْلاً يَقتُلُ يَعْقوبَه
يَعْجِنُ خُبْزاً لِلأطفالِ
مَن تَرمي في لَيلِ الجُبِّ[٣]

ومن زاوية أخرى ترمز قصة يعقوب إلى أمل الشاعر بتحرير الوطن من أيدي الأعداء المتلوثة بدماء الشهداء الفلسطينيين كما قرّت عينا النّبى يعقوب (ع) برؤية ابنه يوسف بعد تحمّل آلام فراقه في عهد بعيد:

١- المصدر نفسه، ص١٥٤.

٢- القاسم، ديوانه، ص١٣٤.

٣- المصدر نفسه، ص١٣١.

أَحِبّائي أَحِبّائي
إذا حَنَّتْ عَليَّ الرّيحُ
وقالتْ مَرَّةً: ماذا يُريدُ سميحُ؟
وشاءَت أن تُزَوِّدَكُم بِأنبائي...
فمُرّوا لي بخَيْمةِ شَيخِنا يعقُوبَ
وقولوا: إنّني مِن بَعْدِ لَثْمِ يَدَيهِ عَن بُعدِ
أُبَشِّرُه...أُبَشِّرُه
بِعَودةِ يوسُفَ المحبوبِ[1]

• **محمّد (ص):** إن قصيدة "أبطال الراية" لسميح القاسم لوحة فسيفسائية رائعة من التّراث الديني،جمع فيها أسماء الأنبياء العظام: آدم (ع) وابنيه، وموسى (ع)، وعيسى (ع)، ومحمّد (ص) وبعض الأعلام. والواقع أنه يخاطب في القصيدة معتنقي الديانات الثلاث المقدسة اليهودية، والمسيحية والإسلام معاً هادفاً إثارة مشاعرهم الدينية وقيامهم للدفاع عن القدس ومقدساتها وهذا منهج الشاعر في عدد غير قليل من قصائده. على سبيل المثال في قصيدة أخرى يجمع بين الأنبياء الثلاثة عندما يخاطب "باتريس لومومبا" شاعر الحرية ورسولها، إذ يقول:

وَأضاءَتْ أحْلامُه بِرُؤى موسى، وَعيسى، وأمنَياتِ مُحمّدٍ[2]

وفي هذه القصيدة، يأخذ الشاعر هجرة نبيّنا محمّد (ص) من موطنه مكة إلى المدينة رمزاً لهجرة أبناء فلسطين وتشردهم، إذ ينشد:

حَرّاءُ: هَل هَجَرَتْ حَمامَتُكَ الوَديعَةَ؟
هَل جَفَتْكَ العَنكَبوتُ؟
حَرّاءُ! هَل دَهَمَتْ قريشُ أمانَ لائذِكَ الكريمِ؟[1]

١- القاسم، ديوانه، ص٥٩٦-٥٩٧.

٢- المصدر نفسه، ص١٠٧.

ويخاطب الشاعرُ محمداً (ص) مستغيثاً به لما أصيب به من ألم الاحتلال والتّشرد قائلاً:

فَارْكَبْ بَعيرَكَ يا مُحَمَّدُ
تَعال... لي في الشَّمسِ مَعبَدٌ[٢] !!

ويشكو إليه الذين شرّدوا الفلسطينيين معتنقي دينه المبين كأنهم يُنكرون نبوّته، فيقول:

ما جِئْتَ بالتَّنـــزيلِ! لَم يُفاجِئْكَ جَبرائيلُ
في رَهْطِ المَلائِكَ بالنُّبوَّةِ!
لَم تَلْقَ وَجْهَ اللهِ! لَم تَسمَعْ مِن النِّيرانِ دَعْوَه!
لَم تحُيِ أمواتاً ولَم تُنهِضْ كَسيحاً! [٣]
لَم تُزِلْ بَرَصاً ولَم تَخلُقْ نَبيذاً مِن مياهِ
لَم تَجِئْ بِالمُعْجِزاتِ الخارِقاتِ [٤]

٢) الآيات القرآنية

هذا النمط من التّناص لا يُلاحظ كثيراً في أشعار سميح إذا قارنّا باستدعائه الشخصيات القرآنية ولكنّه ظهر باقتباس ألفاظ تحمل فكرة معينة، إذ يقول:

مُرّي بِيَدِك علَى وَجْهي
أَعْطيني
قُبْلَةَ ميلادي
ولْتَكنِ اللَّيْلَةُ بَرْداً وَسَلاماً
في نارِ جَبينى[١]

١- المصدر نفسه، ص٣٢١.

٢- المصدر نفسه، ص٣٢٢.

٣- مشلولاً.

٤- المصدر نفسه.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

في «قصيدة من مفكرة أيوب» يندّد الشاعر بجرائم الصهيونية الشرسة في قتل الشباب الفلسطينيين الذي يتزايد يوماً بعد يوم. يحترق الشاعر في نار الألم فيطلب من حبيبته قُبلةً باردةً في عيد ميلاده وهو في الثامن والعشرين من عمره لتكون هى ضماداً على جراحاته الأليمة الحارّة. يذكّر الشاعر، باقتباسه عبارة «برداً وسلاماً»، بقصة إبراهيم (ع) الواردة في القرآن الكريم وقيام نمرود بحرقه حيث يقول تعالى:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٢].

يرمز الشاعر بإبراهيم (ع) إلى المواطن الفلسطيني الذي قام نمرود العصر بحرقه فيرجو من الله تعالى خلاصه كما خلّص إبراهيم (ع) وأصبحت النار عليه برداً وسلاماً.

إن سميحاً يعشق وطنه ولا تضجره محنة أشد عليه ضراوة من محنة احتلال وطنه. ولا عجب في ذلك لأن وطنه ــ كما وصفه نفسه ــ يتميّز بسمات جعلته منفرداً يليق بما يحنّ إليه الشاعر فينشد فيه:

يَجْثِمُ الحُزْنُ على قَلْبي...ويُغْري بِالبُكاءِ
غَيرَ أنَّ الشَّمْسَ...وَالبُركانَ وَ...القَتْلى
عَلى شُطْآنِ أنهارِ الدِّماءِ
أبداً تجذِبُ وَجْهي بالنِّداءاتِ الخَفيّه
لِمَكانٍ خَلفَ أسْوارِ الشَّقاءِ
إِرَمي ذات العِمادِ
إرمي... أمنَحُها مِن كلِّ قَلبي للعِبادِ[٣]

يعتبر الشاعر وطنه «إرم ذات العماد» التي جاء وصفها في الأساطير و«هي مؤلَّفة من مئة ألف قصر، أعمدته زبرجد وياقوت، تجري بينها أنهار حصاها من

١- المصدر نفسه، ص١٨٥.

٢ ــ الأنبياء/٦٩.

٣ ــ القاسم، ديوانه، ص٢٢٨.

الجواهر، أشجار جذوعها من الذّهب...[١]» وقد ذُكر اسم المدينة في التنـــزيل العزيز إذ يقول: ﴿... إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[٢] إضافة إلى أن إرم الفاضلة تموج فيها الإنسانية والمروءة.

يوظّف الشاعر الآية القرآنية توظيفاً ناجحاً، حيث إنه يُلقي للقارئ أن فلسطين المحتلة تتميز عن غيرها من البلاد بكونها مدينة أسطورية كما يعتبرها الجنة المنشودة في السطر التالي:

وعُدْ إلى فِردوسِكَ المَهْجُورِ، لِلجَنّاتِ تَجْري تَحتَها الأنْهارُ، لِلْقَصْرِ الكَبيرِ[٣]

كما نرى في وصفه للوطن يستخدم وصف القرآن للفردوس في الآية الشريفة:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤]

وفي مكان آخر يصفه هكذا:

أرْضُنا / مِنْ عَسَلٍ ــ يُحْكى ــ بِها الأنْهارُ ــ يُحْكى ــ / مِنْ حَليبٍ[٥]

لا شك أن انتقاء هذه الكلمات في وصف الشاعر لأرضه المقدسة يكون تحت تأثير الآية الشريفة:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى...﴾[٦]

وملخص القول أن الوطن يعادل في نفس الشاعر مكانة الفردوس المنشودة ربما يزيد على هذا، بل هو مدينة أسطورية يقتصر اللسان عن وصفها.

---

١ ــ المصدر نفسه، ص٣٠١-٣٠٢.

٢ ــ الفجر/٨-٧.

٣- القاسم، ديوانه، ص٣١٧.

٤- آل عمران/١٥.

٥- القاسم، ديوانه، ص۶۴.

٦- محمّد/١٥.

ثانياً: الشخصيّات التاريخيّة الإسلاميّة

لن تنسى ذاكرةُ أحدٍ –مسلماً كان أو غير مسلم– التاريخ الإسلامي الباهر بما ينطوي عليه من أحداث وفتوحات جسيمة وشخصيات هامة، أكثر الشعراء من استخدامها في تناولهم قضية القدس «فاكتسبت دلالات جديدة، وقد أصبحت هذه الشخصيات والمواقع رموزاً لأهميتها في قضية القدس من ناحية، ولتكرارها من ناحية ثانية[١]»، يهدف الشعراء من استخدامها إلى إغراء مشاعر قرائهم المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، وقيامهم للأخذ بثأر فلسطين المذبوحة. يصرّح سميح القاسم بهدفه هذا في قصيدة "ثورة مغني الربابة" التي جمع فيها أسماء عدد غفير من الشخصيات التاريخية:

يا أُمَّتي.... أحْكي لَهُم، عَن مَجْدِكِ الماضي، وَأُغْريهم بِثَأرِكِ[٢]

ونظراً لضيق المقام اخترنا أربعة من أهم الشخصيات التي وظّفها سميح القاسم في أشعاره؛

- **بلال:** بلال الحبشي ــ وهو مؤذن النبي محمد (ص) ــ أذن لأول مرة في المسجد الأقصى بعد وفاة الرسول فيعتبره سميح القاسم رمزاً لقدسيتها ويعرّف نفسه من مواطني مدينة بلال والمئذنة إذ يقول:

سَأَلوني عَنِ الّتي أنا مِنْها
وَهْي مِنّي رَبابَةٌ ومُغَنيّ
عَندَليبٌ وَسُوسَنَةٌ
وَكِتابٌ
وَبِلالٌ وَمِئْذَنَةٌ[٣]

١– السلطان، «القدس في الوجدان العربي والإنساني»، ص٣.

٢– القاسم، ديوانه، ص٢١٥.

٣– المصدر نفسه، ص٢٨٠.

وفي قصيدة أخرى استعار بلالَ لنفسه يذود بصوته وكلماته عن الأمة العربية، فيقول:

قَدَمي تَدُقُّ بَلاطَ أوروبا
وَوَجهي في رِمالِكِ يا جَزيره
وَيَداي في أشجارِكِ العادت تَنَوَّرَ
يا جزائرَ
وَفَمي بِلالٌ في مَآذِنِكِ العَتيقةِ يا يَمَنُ
وَدَمي يَسِحُّ[١] على جِدارِكِ ياكِنانَه[٢ و٣]

صلاح الدّين الأيّوبي: من الشخصيات الإسلامية التي أصبحت رمزاً في شعر المعاصرين من أدباء فلسطين، بخاصة في شعر سميح القاسم صلاح الدين الأيوبي بطل "حطّين". فهو الذي فتَحَ القدس في المعركة التي وقعت بين المسلمين والصليبيين في ۴ يوليو ١١٨٧م في قرية بين الناصرة وطبرية وحرّر السوادَ الأعظم من الأراضي التي احتلّها الصليبيون. و«المعركة من أهم المعارك التي وقعت في التاريخ الإسلامي، لأنها كانت فاصلة، ورمزاً لقوّة المسلمين بعد جهاد طويل ضد الفرنج، لإعادة الإسلام إلى مجده، والمسلمين إلى عزّهم وكرامتهم. وهي كما يقول أبوالفداء ابن كثير الدمشقي في كتابه "البداية والنهاية" كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدّس[٤]». تزايد ذكر هذا البطل الإسلامي في شعر سميح، منه ما انتقيناه من قصيدته "الميلاد":

أَبي...لا كُتبُنا الملْقاةُ تَحْتَ نِعالِ هولاكو
وَلا فِردوسُنا المَرْدودَ فِردوساً إلى أَهلِه

١- يسحّ: يجري.
٢- كنانة: جمهورية مصر العربية.
٣- المصدر نفسه، ص٧١٣.
٤- الدجاني، الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين في حطّين، ص٦٧.

وَلاخَيلُ الصَّليبيين

وَلا ذِكرى صَلاحِ الدّينِ

ولا جُنديُّنا المَجهُولُ في حِطّين[١]

وربما ينقد الشاعر بذكر صلاح الدين الواقعَ العربي المعاصر السياسي وإهمالهم قضية فلسطين.

• **طارق بن زياد:** هو مولى الأمير موسى بن نصير أمير إفريقيا من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك. إنه أوّل قائد دخل شبه جزيرة ايبيريا وأصبح من أبرز القادة الإسلاميين في التاريخ وسمّى جبل طارق جنوب إسبانيا باسمه حتى يومنا هذا. يفتخر القاسم به في شعره لكونه بطلاً عربياً دخل بلاد الصليبيين فيخاطب الأمة العربية بلفظة "أحفاد طارق" بغية إحداث التغيير في الواقع العربي المؤلم وإعادة الهوية العربية أمام أوروبا ذات الكبرياء والأنانية.

يا أَحْفادَ طارِقَ

كونوا المنائرَ... واغسِلوا أجْفانَ أوروبا البَهيمَةِ[٢]

وفي مكان آخر يعتبر نفسه طارقاً يكرّر الفتح بأشعاره.

يا أُمَّتي عَدَدْتُ أجيالاً على هذه الرَّبابَه

كررَّتُ أمْجادَ الرَّسولِ، وكُلَّ أمْجادِ الصَّحابَه

كَرَّرْتُ عُقبةَ ـــ ألفَ مَرَّه

كرَّرْتُ طارقَ ـــ ألفَ مَرَّه[٣]

ثالثاً: التّراث المسيحي

١- القاسم، ديوانه، ص٥٤٠.

٢- القاسم، ديوانه، ص٢١٣.

٣- المصدر نفسه، ص٢١٦.

سبق القول إنه لقداسة القدس عند مختلف الأديان أصبح استخدام رموز الديانات الأخرى من ميزات القصيدة الفلسطينية، ومن أكثر هذه الرموز وروداً هي الرموز المسيحية.

«لقد عرفت الدلالات المسيحيّة طريقها إلى القصيدة العربيّة الحديثة بشكل لافت ابتداء من عام ١٩٥٧ ودامت هذه الظاهرة حتّى السنوات الأولى من الستّينيّات مع بدر شاكر السيّاب والبيّاتي ومجموعة شعراء "خميس شعر"[١] لتتعرّض بعضها إلى مرحلة ضمور وانسحاب تدريجيّ من النصّ الشعريّ لأسباب عدّة[٢]» نتركها جانباً لضيق المقام، «ولكن ما إن اختفت الدلالات المسيحيّة من نصوص القصيدة الحديثة التي ظهرت في العراق ولبنان حتّى ظهرت من جديد في القصيدة الفلسطينيّة الحديثة مع شعراء مثل معين بسيسو، سميح القاسم، محمود درويش، توفيق زيّاد وغيرهم. فقد احتلّت هذه الدلالات مكاناً بارزاً في النصّ الشعريّ الفلسطينيّ واكتسبت نكهة خاصّة بها رسّخها طعم المعاناة التي ذاقها الفلسطينيّ من تشريد واحتلال لأرضه[٣].»

إن توظيف الشاعر الفلسطيني المسلم للرموز المسيحية لا يعني أبداً اعتناقه لها، بل إنه يرجع إلى أسباب عدة يشير إلى بعضها الباحث الألماني شتيفان فيلد في مقالة عنوانها «اليهودية، المسيحية، والإسلام في الشعر الفلسطيني». يردّ الباحث استخدام ظاهرة «الرمز المسيحي» إلى عوامل ثلاثة:

١- الأثر الثقافيّ الذي لعبه الاطّلاع على شعر تي. أس. إليوت وأدّى إلى إدخال رموز أسطوريّة ليست إسلاميّة المنشأ إلى القصيدة العربيّة.

١- "خميس شعر" ندوة كانت تعقد مساء كل يوم خميس في فندق "بلازا" في الحمرا، وكانت مفتوحة للجميع، للشعراء وغيرالشعراء، فيحضرها عدد كبير من الادباء وتتم فيها مناقشات وقراءات شعرية أو تبادل وجهات النظر حيال التجديد.

٢- كرم، «الدلالة الدينية في الشعر الفلسطيني»، ص٢.

٣- المصدر نفسه.

٢–انتماء أغلبيّة الشعراء الفلسطينيّين الحديثين إلى الحركاتاليساريّة، وخصوصاً الشيوعيّة، بحيث إنّ الاسلام لأورثوذكسيّ[١] غريب عنهم،لا وبل تجب محاربته.

٣– الارتباط الوثيق لمعاناة الانسان الفلسطينيّ مع معاناة المسيح في فلسطين.[٢]»

وهناك عامل يتجسد في شعر المسلمين من الشعراء الفلسطينيين وأهمله الباحث شتيفان فيلد وهو فكرة التسامح الديني في الإسلام.

ولا يفوتنا الذكر أن القدس مكان مقدس عند النصارى، حيث «اتخذوها مدينة مقدسة بعد ما جاء به عيسى (ع) لأتباعه، ولهم بها كثير من أماكن العبادة المسيحية مثل المهد،والقبر، ودرب الآلام، وكثير من الكنائس، أهمها كنيسة الميلاد، والقيامة»[٣]. وقصائد سميح القاسم مشحونة بالدلالات المسيحية، مثل الصليب، المزامير، المسيح، الأقانيم الثلاثة، ليلة الميلاد، يوم الأحد، القُدّاس، وغيرها. فهو ينشد، على سبيل المثال:

أَرْضُنا... عَشِقْناها
ولَكِنّا انتَهَينا في هَوانا أشقياءَ
وَحَمَلنا كُلَّ آلامِ الصَّليبِ
يا أبانا، كَيفَ تَرْضي لِبَنيكَ البُسَطاءِ
دونَ ذَنبٍ–كُلَّ آلامِ الصَّليبِ[٤]

١– هذا النمط من الإسلام لا يخضع لقائمة لاهوتية إلزامية وتخترقه الأسئلة المتناقضة للمعرفة فيقدم إجاباته عبر استنفار المخزونات الأسطورية والسحرية، والمبالغة في النزعات الماضوية، ونبذ العلم وتحريفه. (أنظر: محسن، »صدمة الحداثة وأزمة الأنظمة المعرفية الدينية – (المجال الإسلامي أنموذجاً)»، ٥.

٢– كرم، «الدلالة الدينية في الشعر الفلسطيني»، ص٢.

٣– السلطان، «القدس في الوجدان العربي والإنساني»، ص١.

٤– القاسم، ديوانه، ص٦٤–٦٥.

إن الشاعر هنا يخاطب الله أباه كالمسيحيين ويربط بين معاناة المسيح ومعاناة الفلسطينيين على الأرض ذاتها، كذلك يقول في مكان آخر:

وَالتقَينا صُدْفَةً قِدّيسَةً
جَمَعَتْ قَلبَيْنِ يَومَ الأَحَدِ
فَغَدا يَومُ المَسيحِ المُفتَدى
بَدءَ تاريخي، وَذِكرى مَولِدي[1]

إن الشاعر يستحضر عدداً من الدلالات المسيحية في هذه المقطوعة: القديسة، يوم الأحد، المسيح المفتدى، هادفاً المقاربة بين نفسه والمسيح. وجدير بالذكر أن استحضار «يوم الأحد» في سياقه الشعري «ينبّئ عن خصوبة دلالية، تتساوق مع الدلالة الدينية التاريخية لهذا اليوم المبارك، حيث كان المسيح يجتمع فيه مع تلاميذه باعتباره اليوم الأول من الأسبوع، كما أنه يشير إلى قيامة المسيح من بين الأموات».[2]

وملخص القول أن عيسى المسيح يمثّل في أدب المقاومة الفلسطينية رمزاً للقدس والفلسطيني الذي يعاني ظلم اليهود.

رابعاً: التّراث اليهودي

يعتبر اليهود القدس عاصمتهم المقدسة والقديمة قد اختارها الملك داود عاصمة دينية لنفسه سنة ألف قبل الميلاد، وأمر ببناء الهيكل، فقام ابنه سليمان ببناءه. وهناك أماكن مقدسة في القدس لليهود أهمها حائط المبكى، وبعض الكنس. على هذا، يوظف شعراء فلسطين الرموزَ اليهودية التي لها علاقة بالقدس «ليكسبوها بُعداً

پرتال جامع علوم انسانی

١- المصدر نفسه، ص١٤١-١٤٢.

٢- موسى، «سيرة الزمان في الشعر الفلسطيني المعاصر»، ص٥.

عربياً، أو ليلبسوها التاريخ العربي[١]». ومن جهة أخرى يهدفون إلى التنديد بجرائم العدو الصهيوني ضد العرب، كما يميلون الى مواجهته من واقع عقيدته.

ولم يغفل الشاعر سميح القاسم استغلال التّراث الديني اليهودي، ولا يفوتنا الذكر أن سميح القاسم يُعتبر شاعراً من عرب إسرائيل، أي العرب الذين لم يتركوا الوطن، وليس من اللاجئين كصديقه الشاعر محمود درويش. وفي ما يلي نماذج من استخدامه التراث اليهودي:

سَنَواتُ التّيهِ في سَيناءَ كانَتْ أربَعين
ثُمَّ عادَ الآخَرون
ورَحَلْنا... يَومَ عادَ الآخَرون
فإلى أينَ؟... وَحَتّامَ سَنبْقى تائِهين
وَسَنَبقى غُرَباء؟![٢]

في هذه المقطوعة يقارن سميح بين اليهود والشعب الفلسطيني بين القديم والحاضر. إنه يتحدث عن تشرُّد اليهود قبل استقرارهم في فلسطين في العصر الراهن، وتشرُّد الشعب الفلسطيني بعد استقرارهم في وطنهم المحتلّ، كما يقول الشاعر نفسه: «ومن مفارقات التاريخ أن الظالم آنذاك هو المظلوم في عصرنا (!!) وأن المظلوم آنذاك هو الظالم في عصرنا.[٣]»

وقصيدة «مزامير» ذات العنوان اليهودي قصيدة مشحونة بالتعابير والصور التوراتية والرموز اليهودية مثل موسى، إله الانتقام، إشعياء، صهيون، هللويا،حائط المبكى، و... نشرح بعضاً منها:

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١- السلطان، «القدس في الوجدان العربي والإنساني»، ص٨.

٢- القاسم، ديوانه، ص٥١.

٣- المصدر نفسه، ص١٩٢.

• لفظة «**هَلِّلُويا**[١]» التي تتكرر في ختام كل مقطوعة من القصيدة.[٢] «هللويا» لفظة وردت في التوراة يردّدها جماعة اليهود في نهاية الفقرة خاتمة الإصحاح فيتردد صداها. ومن الواضح أن تكرار اللفظة يأخذ بُعداً نفسياً يرتبط بنفسية الشاعر ومشاعره المكبوتة[٣]».

• **إشعياء:** وهو إسم نبي من أنبياء بني إسرائيل، يعتبر الشاعر نفسه من أحفاده يشكو إليه الجرائم التي يقترفها بنو إسرائيل الطغاة ضد العرب في الأرض المقدسة.

نَحْنُ أحفادُ إشعياءَ
نُناديه
نُنادي وَجْهَه السَّمِحَ الهلاميَّ
الَّذي يَرتَجُّ، مِن خَلْفِ الدُّموعِ القانية[٤]
... يا إشعياءُ الَّذي أغفى قُروناً وَقُرون!
كَيفَ صارَتْ هذه القَريَةُ... صارَتْ زانيةً ؟!
زَغَلاً فِضَّتُها صارَتْ،
على أيدي الطُّغاةِ الأغبياءِ[٥]

• **موسى (ع):** وفي قصيدة «أبطال الراية» يجعل الشاعر نفسه مكان موسى (ع)، وهو نبي بني إسرائيل كان يحلم بالدخول إلى الأرض المقدسة.

آنستُ ناراً ضَوَّأَتْ سَيناءَ! ثُمَّ سَمِعْتُ
قُل... ماذا سَمِعْتَ؟ سَمِعْتُ صَوتَ الله

١- تعني حمداً لله.

٢- تسمي الباحثة نازك الملائكة هذا التكرار تكرار التقسيم. (الملائكة، قضايا الشعر العربي المعاصر، ص٢٨٠)

٣- القاسم، ديوانه، ص١٩٢-٢٠١.

٤- القانية: الحمراء

٥- المصدر نفسه، ص١٩٧- ١٩٨.

يا موسى... فَبَشِّرْ في البَرِيَّه[١]!

إن القاسم يتأكد أنه سينتهي تشرده وتيهه ويدخل الأرض المقدسة في القريب العاجل إذ إن الله بشّره به ولا خلف لوعد الله.

- **أيوب (ع):** إن النبى أيوب (ع)، وهو نبى من أنبياء إسرائيل، يعتبر قدوة الصبر والتضحية في الكتب السماوية، اتخذه الشاعر رمزاً لنفسه؛ بعبارة أوضح «اتخذ الشاعر من قصة أيوب رمزاً للدلالة على معاناة الشعب الفلسطيني وتحملهم العذاب والألم»[٢].

إن الشاعر في السطور الأخيرة لقصيدة "قصيدة من مفكرة أيوب" يقول:

كلُّ الأخْبارِ تَقُولُ
أنا ما خاصَمْتُ اللهَ
فَلِماذا أَدَّبَني بِالوَجَعِ؟
حَسَناً...فَاسْمَعْني أنْفَخُ في الصُّورِ
يا لَعْنَةَ أيُّوبَ...ارْتَفِعي
يا لَعْنَة أيُّوبٍ...ثوري
وَاسْمَعْني أصْرَخُ، يا أيُّوبُ
لا تَخْضَعَ لِلوَجَعِ... لا تَجُعْ[٣]

الشاعر يشكو إلى الله المحنة التي ألمَّت بالفلسطينيين، لأنه ليس بإمكانهم أن يتحملوا مرارة الصبر.

ينكر الشاعر ما أصيب به لأنه لا يجد سبباً له، حيث إنه ما خاصم الله فلا داعي لابتلائه بالوجع.

١- المصدر نفسه، ص٣١٩.

٢- رستم پور، «التّناص القرآني في شعر محمود درويش»، الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ص٢٧.

٣- القاسم، ديوانه، ص١٨٦.

على هذا يستخدم الشاعر عبارة «وأنفَخ في الصّور» وهى اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[١] والواقع أنه يجمع بين الدّلالات الإسلامية واليهودية ليُعلن عن قيامه بالثورة والاحتجاج أمام العدو الظالم.

النتيجة

حاول البحث أن يُلقي الضوء على تقنية توظيف التّراث الديني عند الشاعر الشهير الفلسطيني سميح القاسم، حيث إن التّراث بأنواعه المختلفة جزء لا يتجزأ من نفوس الشعراء وخلفياتهم الثّقافية وهو يعتَبر ظلاً لإنتاجاتهم الأدبية، إلا أن الظروف والمؤثرات السياسية في فلسطين المحتلّة جعلت الشاعر يعطي للتراث بعداً سياسياً ونفسياً. والواقع أن استخدام التّراث هو مقلاع من جنس آخر يرمي به الشاعر حجارته نحو العدو الصهيوني. ويمكننا القول إنه أساس من أوضح الأسس الفنية في الشعر العربي في فلسطين التي تميزه عن الشعر في سائر الأقطار العربية.

وبما أنّ الكيان الصهيوني يحاول تشويه الثقافة الإسلامية والعربية ومحو أصالة الشعب الفلسطيني يرصّع الشاعر المقاوم أشعاره بالتّراث الدّيني لإثبات أصالته وثقافته الباهرة.

ووظف سميح القاسم الشاعر المقاوم الفلسطيني، تراثَ الديانات الثلاثة الإسلامية، والمسيحية، واليهودية بشكل واضح ناجحاً في توظيفه وهذا يدلّ على ثقافته العالية وقدرته على تقديم أفكاره في إطار التراث الديني.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

١- ق/٢٠.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

١. تاوريريت، بشير، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، دمشق: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨.

٢. الجيّوسي، سلمى الخضراء، موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، ج١ (الشعر)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٧.

٣. رستم پور، رقيه، «التّناص القرآني في شعر محمود درويش». مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد٣.

٤. الدجاني، زاهية، الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين في حطّين، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣.

٥. السلطان، محمد فؤاد، «القدس في الوجدان العربي والإنساني»، ٢٠٠٩. الموقع:http://www.paldf.net/forum/showthread.php

٦. العبد الله، لولوة حسن إبراهيم عبد الله، «توظيف التراث في شعر سميح القاسم»، ٢٠٠٧. الموقع: http://www.raya.com/site/topics/article.asp

٧. عبداللطيف، حجاب، «تقنية توظيف التّراث الديني في شعر مفدي زكريا»، جامعة المسيلة، د.ت. الموقع: http://www.univ-msila.dz

٨. قائد، أحمد مهيوب محمد، «توظيف التّراث في الشعر اليمني المعاصر في الحقبة ١٩٩٠-١٩٩٢م»، ٢٠٠٥،الموقع: http://www.yemen-nic.info/contents

٩. القاسم، سميح، ديوانه، بيروت: دار العودة، ١٩٨٧.

١٠. قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، الطبعة الرابعة، بيروت: منشورات نزار قباني، ١٩٨٦.

١١. كرم، سرجون،«الدلالة الدينية في الشعر الفلسطيني»، ٢٠٠٧. الموقع: http://www.ssnp.info

١٢. كنفاني، غسّان، الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال، بيروت: مؤسسة

الأبحاث العربية. ١٩٨٧.

١٣. الملائكة، نازك، قضايا الشعر العربي المعاصر، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٠.

١٤. محسن، يوسف، «صدمة الحداثة وأزمة الأنظمة المعرفية الدينية – (المجال الإسلامي أنموذجاً)، ٢٠٠٩. الموقع: http://www.alawan.org

١٥. موسى، إبراهيم نمر، «سيرة الزمان في الشعر الفلسطيني المعاصر»، د.ت. الموقع: http://www.geocities.com

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی